المحاضرة رقم 06:

فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث.

1- فن الرسالة في الأدب العربي:

احتاج الإنسان إلى الكتابة والإنشاء منذ قديم الزمان، وذلك لأنه كان يريد أن يحفظ مسيرته نجاحا وإخفاقا. فكان يكتب في المغارات، وعلى الصخور، وعلى الأواني، وجذوع الأشجار، ويحفر رموزه عليها. وبتطور الكتابة تطورت لغة التعبير بالكلمات. واحتاج الإنسان العربي مذ تشكلت جماعاته وقبائله في العصر الجاهلي، وامتدت إلى العصور الإسلامية الموالية، إلى بلورة مزية الكتابة وطرق ممارستها. فلم تكن الكتابة لدى العامة، هي نفسها لدى الخاصة من صفوة وعلية الأقوام. «إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أُطلقتْ لا يراد بها غير كتابة الإنشاء والكاتب إذا أُطلق لا يراد به غير كاتبها حتى سمى العسكري كتابه الصناعتين الشعر والكتابة يريد كتابة الإنشاء، وسمى ابن الأثير كتابه المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر يريد كاتب الإنشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها» [1]

وبالعودة إلى طريقة العرب قديما بدءا بالعصر الجاهلي، نجد أن ترصيع الكلام بالسجع كان عادة تعبيرية، نظرا لبيئة المشافهة، واستئناس العرب بالنغمة الموسيقية في الكلام تجعله يستحسنه أو يمجّه. و«لما جرى الكلام على السجع والترسل، وكان السجع من أشهر طرق الإنشاء، حتى ظنه كثير من الناس الإنشاء كله، وجب أن نشير إلى حقيقته، وشيء من أقسامه ومحامده ومعايبه، والمفاضلة بينه وبين الترسل.» [2]. وقد قال ابن الأثير في المثل السائر، معرفا السجع: هو«تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد.»[3]. وتبرز قيمة ذلك السجع في حسن النغم الذي يحدث عند النطق به، ومدى تجاوب الأذن مع ذلك النغم. «وإذا لم يلتزم الكاتب السجع، وكان كلامه ترسلا، حسن أن يأتي في أثنائه بهاته الكيفيات كلها بلا قيد. وأقسامها وتفاريعها كثيرة تكفّلت ببيانها كتب البديع، وهو يدل على مقدرة الكاتب إذا جاء في غاية الحسن غير متكلف؛ لأنه يؤذِنُ بسعة صاحبه في استحضار ما يريد من المفردات اللغوية، وبجودة قريحته في تطبيق

[1]) أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى. ج1. دار الكتب المصرية. القاهرة 1922. ص52.
[2]) الطاهر بن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة. ص 108.
[3]) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تقديم: أحمد العوفي – بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. د.ت. ص 210.

المعاني على الأسجاع، ولكنه لا يحسن إلا في مواقعه من الرسائل، والديباجات والأشياء المقروءة، والأمثال والحكم التي يراد تناقلها وتعلقها بالأذهان.»[1].

لقد عرف فن الترسل تطورا عبر مختلف العصور الأدبية العربية، فقد كانت له أشكال متباينة أحيانا؛ فقد تكون الرسالة شعرا مثلما تكون نثرا حينا آخر. وقد قال بعض الشعراء الجاهلين قصائد عدت رسائل مثل قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي الذي حذر قومه (إياد) من العدو. وقد كان كاتبا في ديوان كسرى. لكن هذه الرسالة (القصيدة) وقعت في يد كسرى فقطع لسانه. وجاء عصر التدوين، على عهد بني أمية، وكان عبد الحميد الكاتب من أشهر الكتاب. وبعده العصر العباسي الذي مثل العصر الذهبي في تطور مختلف الأجناس الأدبية، ومنها فن الرسالة، والكتاب المشاهير في ذلك الزمان. منهم: عبد الله بن المقفع، عبد الله بن المعتز، والجاحظ، وابن الزيات. وغيرهم كثير. ومن أنواع الرسائل التي كانت تكتب:

أ- **الرسائل الديوانية**: وهي التي كانت خاصة بالمؤسسة السياسية ممثلة في دواوين الخلفاء، والأمراء والولاة، و«ديوان الرسائل يشبه رئاسة الوزارة في أيامنا، فرئيس الديوان – وكان يسمى الكاتب – كان ينشئ الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمال وإلى الملوك الآخرين، كما كان يتلقى الرسائل التي كانت ترد إلى الخليفة. وكان الكاتب في أول أمره موظفا بسيطا لا تتعدى وظيفته استملاء الرسائل. ثم تطورت الكتابة باتساع الحاجة إليها ونشأ ديوان الرسائل، إلى جانب غيره من الدواوين، وأصبح له رئيس كما أصبح فيه كتاب مرؤوسون كل يعمل على مقدار منصبه في الديوان.»[2].

ب- **الرسائل الإخوانية**: وهي التي تنوعت الموضوعات التي كانت تدور حولها؛ مثل الحنين والشكوى، والعتاب واللوم، والغزل، والوعظ والإرشاد. وأصحاب هذه الرسائل كانوا على درجة عالية من الوعي الفني، وقد «قال أبو عثمان الجاحظ: ما رأيت قوما أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء الكتاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا. وقال بعض المهالبة لبنيه: تزيُّوا بزيّ الكتاب فإنهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة.» [3].

والحاجة إلى هذا الفن فرض مستلزمات توجب قيمتها، وحسن تموقعها في المجتمع العربي آنذاك، «والعرب عامة كانوا أقدر على الخطابة منهم على الكتابة.

[1]) الطاهر بن عاشور: ص 109.
[2]) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي. ج1. ط4. دار العلم للملايين. 1981. ص375.
[3]) ابن عبد ربه: العقد الفريد. ج4. شرح وتصحيح: أحمد أمين –أحمد الزين – إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. بيروت 1983. ص179.

من أجل ذلك كانت الدولة تتخير كتابا لها، من العرب حينا ومن غير العرب أحيانا، من ذوي العفة والأمانة. وقد كان الخليفة يملي على هؤلاء الكتاب ما يشاء.»[1].

أما حديثا، فيعود الأمر إلى عصر النهضة وبداية البعث العربي، حيث اتسعت حركة التأليف والنشر. وجاءت نزعة إحياء التراث لتعيد للحضارة العربية الإسلامية قوتها. كما ظهرت فنون أدبية جديدة أسهمت في إخصاب الحركة الأدبية. ومن أشهر كتاب عصر النهضة: رفاعة الطهطاوي، أديب إسحاق. عبد الله نديم... وتجدر الإشارة إلى أن أدب كتابة الرسائل انتشر في العصر الحديث بشكل لافت للانتباه خاصة بين الأدباء. والأمثلة كثيرة ومتنوعة، منها: رسائل جبران ومي زيادة، ورسائل غسان كنفاني وغادة السمان، ورسائل محمود درويش وسميح القاسم... «ومن أمثلة النثر الأدبي رسالة لعبد الله نديم يشكر فيها صديقا على كتاب وصله منه: " لبيك كوكب الصبح، دام نداك، وسعد بك نسيم الصَّبا، طاب شذاك، وأهلا بك يا نور النهار، ومرحبا بك يا نور البَهار، فإني أَرِقْتُ للقاء منذ سمعت بالإسراء، ومازلتُ أسأل عن ركبكم في منازل البدر، وأستفهم منه ركبان النجوم حتى مطلع الفجر. فالشِّعْرَى[نجم ورد ذكره في القرآن] تقول: تركتهم بتلك المرحلة، وعطارد يقول: تقدمتهم بمنزلة. والمريخ يقول: أناخوا ركائبهم، والمشتري يقول: أثاروا نجائبهم، والدجى تقول: ليلهم قمري، والزهرة تقول: هم أولاء على أثري، وكل ذلك وأنا هائم كحاطب بليل حتى طلع عليَّ من جانب السحر سُهيل، فهممتُ بتقبيله فأبى، وارتفع عني ونبا، فأشرتُ له بتلطف وأنشدته بتعطُّف»[2]. وتبدو هذه الرسالة من الوهلة الأولى غنية بأسلوب السجع الذي عودنا عليه العرب القدامى. كما أن هذا الأسلوب ليس ممجوجا في هذه الرسالة، بل إنه أعطى لمسة فنية تتميز بالسلاسة، وشرف اللفظ، وقوة العبارة، وقرب المعنى. مما يجعل القارئ يستمتع بمثل هذه اللغة الفنية الراقية. وذلك ما أراده كتاب عصر النهضة في محاولاتهم استعادة أساليب البلاغة القديمة، من رونق في التعبير، وانسجام بين أقسام التركيب، وجودة في المعاني.

وعلى الرغم من عدم وجود تعريفات دقيقة لفن الرسالة في كثير من الكتب والمراجع التي تناولت هذا الفن في الأدب العربي، إلا أن هناك شبه اتفاق في إعطاء تصور عام لها، فـــ «للرسالة الفنية بناء خاص، وشكل فني معروف وسمات معينة هي بمثابة الأركان الأساسية التي تبنى عليها الرسالة، والتي لا بد من توافرها وإيداعها في كل قطعة نثرية تنتمي إلى أدب الرسائل الفنية»[3].

[1]) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي.ج1. ص374.
[2]) عمر الدسوقي: في الأدب الحديث. ج1ص251.
[3]) فايز عبد النبي فلاح القيسي: أدب الرسائل في الأندلس. في القرن الخامس الهجري. ص85.

ويدخل هذا الأمر في باب التجنيس الذي أصبح مطلبا هاما في وضع معيار لكل فن، حتى يتمايز عن غيره من الفنون الأخرى على الرغم من بعض التداخل بينها. «فالرسالة الفنية قطعة نثرية واحدة تتجزأ في ثلاثة أقسام وعناصر مختلفة هي: البداية أو الصدر والمتن ثم النهاية أو الختام، ولكل عنصر من هذه العناصر طابعه الخاص، ففي البداية غالبا ما يخاطب الكاتب فيه من أُرسلتْ إليه الرسالة، وفي المتن يتناول الكاتب الموضوع الذي أُنشئت من أجله الرسالة، وفي النهاية يدعو الكاتب بالسلام لمن كتب إليه الرسالة. وهناك اتصال وثيق بين هذه العناصر التي تكون الشكل الفني المميز للرسالة بين أشكال النثر الفني الأخرى» [1].

2- فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث:

أدى ضعف الدولة العثمانية في مراحلها الأخيرة إلى انهيار في مختلف شؤون الدولة حتى من ناحية اللغة. و «إن كل الوثائق العربية والتركية التي تركت لن ا حول هاته الفترة، إذا استثنينا حمدان خوجة، تعكس ضعف المستوى الثقافي للدايات والبايات والأغاوات، أما الانكشاريون رجال سلاح وحرب، فلم يعقلوا أهمية بالغة لهذا الميدان، وبذلك كانت الوثائق العربية أو التركية صعبة القراءة، لكثرة ما اشتملت عليه من أخطاء متنوعة.»[2]. ويعد (حمدان خوجة) أحد الشخصيات الجزائرية البارزة إبان الغزو الفرنسي للجزائر، ينتسب إلى عائلة جزائرية مرموقة، حيث كان والده فقيها تحت إمرة الدولة العثمانية. وهو من مواليد 1773م. تلقى تعليمه الأول في الجزائر وحفظ القرآن وتفقه في علومه وعلوم اللغة العربية. وبعد المرحلة الابتدائية انتقل إلى إسطنبول. وبعد عودته منها تدرج في التحصيل العلمي، وكان متفوقا في مختلف العلوم الدينية والفلسفية وحتى الطبية. ومارس التجارة وأصبح من أثرى أثرياء العاصمة. وسافر إلى كثير من بلدان العالم في أوربا والمشرق العربي. بعد احتلال الجزائر اشتغل في الإدارة الفرنسية. ولكنه لم يوفق نظرا لمعارضته للسياسة الاستعمارية. وسافر إلى فرنسا سنة 1933. وذلك للدفاع عن الجزائر من خلال تواصله مع بعض الشخصيات النافذة. ولكن لم يجد بدّا من السفر إلى إسطنبول سنة 1936. وتوفي هناك سنة

[1]) المرجع نفسه. الصفحة نفسها
[2]) عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي. تونس – الجزائر -ليبيا 1816 – 1871. ط1. الدار التونسية للنشر. 1972.ص 133.

1945. من أشهر كتبه (المرآة). و(إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء).

وقد راسل السلطان العثماني برسالة يطلب فيها تدخله، وعدم التخلي عن الشعب الجزائري الذي استبدت به السياسة الاستعمارية الوحشية – قتلا وتنكيلا - بعد الاحتلال، قائلا: «إلى صاحب الجلالة، سلطان العالم الإسلامي ومؤيد الشعوب، سيد السيف والحروب، رمز العطف والنصر والسياسة، الخليفة المنتصر الوحيد، ظل الله على الأرض، جلالته، ملجأ المسلمين والضعفاء، رئيس الحكومة، رمز الدين، سيدنا السلطان محمود بن السلطان، ليهبه الله من لدنه قوة حتى يسوس أمبراطوريته وينفذ ما يريد ويجري نظام العالم على وفق مراده، ويجعله نجاحا لعباده وصلاحا لبلاده.»[1]

ويفتتح هذه الرسالة بديباجة مرصعة بمختلف عبارات المدح والثناء للخليفة العثماني، من أجل استمالة قلبه، وإثارة روح الشفقة لديه على هذا الشعب المظلوم. خاصة وأنه الحاكم للأمبراطورية العثمانية التي فرضت سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط، ومناطق من أسيا وأوربا. وحكمت مشرق الوطن العربي ومغربه. ويواصل طرح الغرض المراد: «فبعد تقديم مظاهر الإكرام اللائقة لجلالتكم، نعلمكم أنه إثر المصائب التي حلت بالبلاد، فإن الناس قد تفرقوا شذر مذر، وهجروا عائلاتهم وبيوتهم، وإن الكفار قد ألحقوا بهم ضيقا وجورا، بحيث أن لا ملجأ للناس، لطلب المساعدة، غير سلطانهم. إن الشعب الجزائري قد عهد إليّ مسؤولية الاتصال بالباب العالي وإطلاعه على وضعيتنا بما سنبعثه من تقارير لسيادتكم. إن الرسول محمد (صلعم) قال:" الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". أيها السلطان أشفقوا على من في هاته الأرض، فإن الله سيأتي لمساعدتكم، لا بد من العمل بقول الرسول.»[2]. ونسق نص الرسالة في هذا المقطع يتحرك نحو تحسيس القائد بتحمل مسؤوليته، فهو القائم على شؤون البلاد وشعبها، وهو المخلِّص لها من كل المصائب التي لحقتها جراء فرنسا. كما أن حمدان خوجة أصبح المفوّض الذي عهدت إليه مسؤولية تبليغ

[1]) عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي. ص 168.
[2]) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

السلطان العثماني، وهذا ينم عن شرف المكانة التي كان يحظى بها في المجتمع الجزائري آنذاك. ثم ضمّن الرسالة بالحديث النبوي الشريف محاولة منه للتأثير عليه، وتحقيق المراد. ومثلما حسسه في المقطع الأول بقوة سلطانه وضخامة قوته، حسسه في المقطع الثاني بتشبعه بمعاني الدين، ولذلك ضمن الرسالة الحديث النبوي.

ولا يمكن أن نغفل عن مسيرة الأمير عبد القادر الحافلة بالإنجازات على مختلف المستويات، قياديا، وعسكريا، وسياسيا، ودينيا، ومعرفيا. ومثلما كان الأمير قامة في الشعر والخطابة، كان أيضا قامة في كتابة الرسائل. بل إن اهتمامه بهذا الأمر كان ينم عن وعيه بفكرة قيام الدولة الجزائرية، عسكريا وسياسيا وثقافيا. «وكانت إدارة الأمير عبد القادر قد وفرت الشروط لمراسلات ديوانية رفيعة المستوى. فقد جند الأمير مجموعة من الكتاب المتأدبين، بعضهم معروف بالاسم، مثل قدور بن رويلة ومحمد الخروبي وأحمد البدوي، ومصطفى بن التهامي، وبعضهم غير معروف لنا الآن.»[1]. ولم يخرج عن منوال العرب القدامى في التشبع بمعايير فن الكتابة، وقواعدها، «وإذا عدنا إلى الرسائل الصادرة عن إدارة الأمير العامة أو إدارة خلفائه، نجدها متقيدة بقواعد محافظة على الأساليب العربية في الحكمة والمثل والاستشهاد بالشواهد والإيجاز. وهذه الخصائص نجدها في الرسائل الصادرة عن إدارة الأمير سواء كانت موجهة إلى الفرنسيين، أو إلى الجزائريين أو إلى غيرهم من الساسة والعلماء.»[2]. وهو يؤمن بأن الرسالة تدل على مرسلها، فهي حاملة لمواقفه، مبرزة لأفكاره، شديدة وقت الشدة، ولينة في أسلوبها وقت الليونة.

وفي نضاله الحافل بالإنجازات، كثرت خطاباته، وتنوعت مراسلاته إلى مختلف الأنحاء من العرب والمسلمين، خاصة الشخصيات الدينية والسياسية الكبيرة، وإلى غير العرب من الفرنسيين. «ولو جمعت مراسلات الأمير عبد القادر مع غير الجزائريين من الأعيان والأدباء لجاءت ربما في مجلد. فالرجل كان علما من أعلام العصر، وكان قاصدا ومقصودا في حياته. كتب مجيبا على

[1]) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج8. ص86.
[2]) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

أسئلة، وكتب مستفسرا. وكتب شاكرا ومادحا، ومعزيا ومهنئا، ونحو ذلك. وقد دارت بينه وبين الشيخ أبي الهدى الصيادي[من مشايخ حلب في عهد السلطان عبد الحميد]، والشيخ محمد عبده مراسلات وهو في آخر عمره، وراسل وزراء تونس في شأن المقرانيين وفي شأن ناصر بن شهرة وغيرهم. وربما كتب إلى الخديوي إسماعيل باشا عند مروره بمصر متوجها إلى الحجاز، وبعد حضوره افتتاح قناة السويس.»[1]. وكانت تلك الرسائل تجد صداها عند المرسل إليهم لما تحتويه من معنى يوائم الحدث والسياق.

وحين ننتقل إلى مرحلة أخرى تالية لمرحلة الأمير عبد القادر، نصادف شخصية أدبية مرموقة، جمعت بين علوم الدين والفقه، وعلوم العربية. وهي شخصية عبد الرحمان الديسي. [2]. و«اختلفت موضوعات رسائل الديسي بين رسالة شوق، وإجابة عن طلب واستفتاء أو رسالة مدح وتقريظ، أو رسالة وصف ومناقشة، وتبادل أفكار. كتب أربع رسائل لأبي القاسم الحفناوي، ورسالتين لعبد القادر بن إبراهيم المسعدي، ورسالة لعبد الحميد بن باديس، وهذه الرسائل نوعان، نوع منها يدور حول مسألة علمية أو ثقافية معينة يشرحها ويحللها، فيراعي البساطة في التعبير، والسهولة في الأداء قصد الإفهام، ونوع من رسائله ينشئه لغرض أدبي بحت يحرص فيه على السجع والصنعة جاعلا محور كلامه مسألة معينة لا تتطلب منه البحث عن أدلة علمية واضحة»[3]. وكتب رسالة سنة 1325هـ لأبي القاسم الحفناوي [أخد كبار علماء الفتوى في الجزائر] الذي ألف كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) وأهداه نسخة منه. يقول في تلك الرسالة: «نحمد اللهم يا من جعل العلم حلية الأبرار، وقنّية المهتدين الأخيار، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة. أما بعد: فإن العلم من أفضل الذخائر، وأشرف ما يتنافس في خدمته أفاضل الأوائل والأواخر، وهو لعمري من أسنى المواهب، وأعلى المفاخر والمناقب، فالعلماء وأعيانهم مفقودة، وآثارهم على صفحات الدهر موجودة، وإن من أظرف فنونه وألطف أغراضه وعيونه: فن التاريخ الجليل، المعظم في كل أمة وقبيل، الذي لولاه ما

[1]) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج8. ص91.
[2]) ولد محمد بم محمد بن عبد الرحمان الديسي في قرية (الديس) قرب بوسعادة سنة 1854م. نشأ يتيما وأصيب بالجذري فكف بصره. وكان ابن باديس يثق في رأيه ويستفتيه نظرا لثقافته الواسعة. توفي سنة 1921م.
[3]) عمر بن قينة: الديسي. حياته وآثاره وأدبه. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. د.ت. ص209.

عرفت سير الملوك والعظماء، ولا حفظت تراجم العلماء والحكماء وإن من أبدع مصنفاته وأحسنها وأجل مؤلفاته وأتقنها السفر المسمى بتعريف الخلف برجال السلف»[1]. وتتشابه الرسالة هنا بالخطبة من حيث البداية التي تعتمد الحمدلة، والصلاة والسلام على النبي المصطفى. وتبدو لغتها راقية تنم عن مستوى أدبي مرموق لهذا العلامة. وقد انتقى الألفاظ التي تخدم المعنى الذي يريده. فالحديث عن أفضل الذخائر، وأعلى المفاخر والمناقب، هي سمة للممدوح الذي أهداه نسخة من كتابه. وهذه الآداب كان لها دور كبير في إبراز قيمة العلم والعلماء دون منقصة. والرسالة اعتمدت أسلوب السجع في غير تكلف، فكان بيانها موصولا.

ونجد محمد البشير الإبراهيمي، ونخبة من علماء الجزائر، خاصة ممن كانوا ينتسبون إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ومن بين الرسائل الشهيرة للإبراهيمي: رسالة الضب، ورسالة بعث بها إلى إبراهيم الكتاني. ورسالة إلى الأستاذ أحمد قصيبة. ورسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني...وقد توجه برسالة إلى الطلبة الجزائريين الذي يدرسون في جامع الزيتونة، وذلك بمناسبة ذكرى وفاة العلامة (عبد الحميد بن باديس): «أحيّ بتحيات الله المباركة الطلبة أبنائي المهاجرين في سبيله، لا أخص بتحيتي من ينتسبون إلى وطن، أو تجمعهم جمعية، بل أعم من يظلهم دين ويربطهم لسان، ويجمعهم جامع، أولئك كلهم أبنائي، يستوون في حبي لهم، وعطفي عليهم، وآمالي فيهم، آحادهم وجموعهم» [2]. ونلمس في نص هذه الرسالة الرؤية الشاملة التي كان يمتلكها أعلام مدرسة الإصلاح الجزائرية. فلم تكن التحية لطلاب الجزائر وحدهم بل لكل عربي ومسلم. لأن المشروع الإصلاحي هو جزء من المنظومة العربية الإسلامية. كما أن تذكير الأبناء برسالة الآباء هي رؤية سليمة من أجل ربط الحاضر بالماضي، من أجل إكمال الرسالة. ويواصل: «أيها الإخوان، أيها الأبناء: لا نكون مبالغين إن قلنا إن لفقيدنا عبد الحميد بن باديس منّة على كل من يحمل بين جنبيه روحا جديدة أو فكرة سديدة من أبناء الجزائر أينما كانوا، لا فرق في ذلك بين طلاب العلم وبين غيرهم من طلاب الحياة في جميع فروعها، وإن من دلائل الوفاء وشكر الصنيع في نفوس أولئك الطلاب أن ينهجوا نهجه في التفكير وطرائق الإصلاح، ويتعاونوا على

[1]) عمر بن قينة: الديسي. حياته وآثاره وأدبه. ص211.
[2]) محمد البشير الإبراهيمي: الآثار. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. ج2. ص152.

إكمال ما بدأ بوضعه من أسس العلم والحياة ويشاركوا في هذه الذكريات التي تقام كل سنة لعرض أعماله واستخراج العبر من تلكم الحياة التي ليست حياة فرد وإنما هي حياة أجيال.»[1]. وكم في أسلوب الإبراهيمي من حكمة، وبيان، وسحر، يخرج من قلبه ليصل إلى قلوب من يسمعه. وتلك مدرسته المبنية على صناعة المعنى عبر صناعة اللفظ، فينتج منه مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وذلك في إيجاز، وبلاغة، وانتقاء، وحسن سبك، وتفنن في التصوير.

وأخيرا، يعد فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث جزءا مهما في حركية الأدب الجزائري الذي اكتملت فنونه وأجناسه التعبيرية تباعا وعبر مراحل تاريخية لها كثير من الخصوصية.

[1]) محمد البشير الإبراهيمي: الآثار. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. ج2. ص153.